مجلة أبوليوس
المجلد 13 العدد 2 – جويلية 2026
الصفحات: 25- 37

نقد أدب الطفل في الجزائر: قراءة في كتاب أدب الطفل الجزائري "قراءات نقدية جمالية لعبد الله لالي"

Criticism of Children's Literature in Algeria: A Review of the Book Algerian Children's Literature: "Aesthetic Critical Readings by Abdallah Lali"

خديجة باللودمو*
جامعة تامنغست (الجزائر)، belaoudmou.khaddja@univ-tam.dz

تاريخ الاستلام: 2026/05/20 تاريخ القبول: 2026/07/20 تاريخ النشر: 2026/07/31

ملخص البحث:

من القضايا الشائكة التي جعلت من أدب الطفل -العربي تحديدا- مطية لكل مبدع هي قضية: غياب النقد الأدبي في إنتاجات المبدعين فيه، فرغم الجهود الإبداعية الكثيرة التي بذلها المبدعون الذين آمنوا برسالته، ورغم الجهود التنظيرية المعتبرة التي قدّمها الدارسون والمنظّرون في سبيل وضع أسسه وضبط خصائصه، إلا أن هذا الأدب ظل مُستسهَلا من طرف المبدعين الذين اعتقدوا أن الكتابة للصغار أسهل بكثير من الكتابة للكبار. ستقدم هذه الدراسة قراءة في مؤلَّف جزائري للتعريف بالمعايير المقترحة في تقييم الأعمال الأدبية الموجهة للأطفال، اعتمادا على المنهج الوصفي الملائم لهذا النوع من الدراسة، لتصل في نهايتها إلى جملة من النتائج الهامة، وتثمَّن بمقترحات في سبيل تحريك عجلة النقد الأدبي المرافق لأدب الطفل عموماً والجزائري خاصة.

الكلمات المفتاحية: أدب الطفل، نقد أدب الطفل، قصة الطفل، شعر الطفل.

Abstract:

One of the thorny issues that has made Arabic children's literature— in particular—a dilemma for every creative writer is the absence of literary criticism in the works of those who write it. Despite the considerable creative efforts of writers who believed in its mission, and despite the considerable theoretical efforts made by scholars and theorists to lay its foundations and define its characteristics, this literature has remained neglected by creators who believed that writing for children was much easier than writing for adults. This study will present a reading of an Algerian work to define the proposed criteria for evaluating literary works aimed at children, based on the descriptive approach appropriate for this type of study, ultimately arriving at a set of important conclusions and will evaluate proposals for advancing literary criticism related to children's literature in general and Algerian children's literature in particular.

Keywords: Children's literature, children's literature criticism, children's stories, children's poetry.

* المؤلّف المراسل

مقدمة:

إن أدب الطفل يعدّ مجالا حديثا بكل المقاييس في العالم، فقد اتضحت ملامحه في القرن السابع عشر في العالم الغربي، وتأخر تشكّله في عالمنا العربي إلى القرن التاسع عشر، ورغم أن عجلة الإبداع فيه دارت بسرعة في القرن العشرين إلا أن هناك بعض القضايا الشائكة التي تمثل عائقا في طريق الإبداع العربي فيه، ولعل أبرزها قضية غياب النقد فيه. فمن غير الممكن أن يظل المبدعون ينصّبون أنفسهم مبدعين لأطفال العرب دون تقييم لما يكتبون، ومع خصوصية مرحلة الطفولة وأهميتها في تنشئة وتثقيف الطفل العربي، فلم يعد الأمر مستساغا. من أجل هذا أعددت هذه الدراسة للتعريف بجهد جزائري حاول أن يقدم مقاربات في أعمال جزائرية موجّهة للطفل، وبالتعريف به يمكن أن أستخلص معالم النقد الأدبي الموجه للإبداع الأدبي للطفل، وتتمركز هذه الدراسة حول إشكالية هذا النقد الموجه للأدب الطفلي وخصوصيته، الاستعانة بالمنهج الوصفي الأنسب لهذا النوع من الدراسة، لتصل في نهايتها إلى جملة من النتائج الرامية للتعريف بهذا النوع من النقد، لتفتح باب النقاش فيه وتقترح ما من شأنه أن يقدّم أدب النقد الموجه للطفل خطوة نحو التشكل الأمثل، وتحفّز شريحة من الدارسين والنقاد إلى إثرائه وإلى تفعيله في دائرة الإبداع الأدبي الموجه للطفل العربي.

1- مدخل مفاهيمي في أدب الطفل ونقده:

1-1- تعريف أدب الطفل:

لطالما حضر الطفل في الإبداع العالمي كموضوع أو كمتلقٍّ لأدب الكبار، وكم حفظ التاريخ الإنساني لمختلف الشعوب في العالم تلك الأهازيج وأغاني المهد التي كانت ترددها الأمهات والجدات وهن ينيّمن صغارهن ويرقصنهم، لكن أدب الطفل بمعناه الحديث يختلف عن هذا وذاك من خلال نوع الكتابة وأسلوبها وتقنياتها، فـ "أدب الأطفال، فرع جديد من فروع الأدب الرفيعة، يمتلك خصائص تميزه عن "أدب الكبار" رغم أن كلا منهما يمثل آثارا فنية يتحد فيها الشكل والمضمون."[1] هذه الخصوصية التي يجب أن يحترم فيها المبدع تقسيمات مرحلة الطفولة، ويتعرف على الجمهور الذي يكتب إليه ليكون الناتج أدبا رفيعا يلبي حاجياته ويرضي ذوقه، "وقد يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار تبعاً لاختلاف العقول والادراكات، ولاختلاف الخبرات نوعاً وكماً."[2] وهو ما يفرّق بين نص ونص آخر موجه لذات الفئة، فليس كل الأعمال التي وُجّهت إلى الأطفال تنتسب حقيقة إلى هذا الأدب.

إن أدب الطفل لا يخرج عن دائرة الأدب عامة ولا يكسر قواعده الأجناسية، ولكن الخصوصية التي تفرضها مرحلة الطفولة يجعل منه أدبا ينضبط تحت تعريف خاص، فـ"أدب الأطفال هو كل ما يقدم للطفل من مادة أدبية أو علمية، بصورة مكتوبة أو منطوقة أو مرئية، تتوفر فيها معايير الأدب الجيد، وتراعي خصائص نمو الأطفال وحاجاتهم، وتتفق مع ميولهم واستعداداتهم،"[3] وتسهم بشكل مباشر في تثقيفهم وضبط انفعالاتهم وسلوكاتهم، من أجل بناء شخصية سوية تحترم تقاليد المجتمع وتعرف حدودها فيه، وبذلك تستطيع خوض غمار الحياة بيُسر، وهذا التعريف يؤكد على مسألتين وهما: ضرورة احترام خصوصية مرحلة الطفولة في وعي كل كاتب للأطفال، ثانيا ضرورة الاشتغال على تحقيق الهدف التربوي من أدب الطفل، فمهما اشتغل المبدع على الجانب الفني الشكلي فإن المضمون المميز للطفل لا يمكن إغفاله مطلقا.

صعوبة الكتابة للأطفال:

إن الجمع بين الجودة الفنية والتميز الموضوعاتي لا يتحقق إلا لمبدع حقيقي يكتب للأطفال بصدق ووعي بما ينجز، "وكتابة الأدب للأطفال من الفنون الصعبة، وتتأتى الصعوبة من جوانب عدة، من أبرزها ما يتميز به أدب الأطفال من بساطة."[4] تلك البساطة التي يطلبها جمهور الأطفال وتصعب على المبدع غير المتمرّس للكتابة لهم، لأن مرحلة الطفولة بدورها مقسمة إلى ثلاثة مراحل أصيلة هي: مرحلة الطفولة المبكرة (3-5 سنوات)، مرحلة الطفولة المتوسطة (6-8 سنوات)، ومرحلة الطفولة المتأخرة (9-12 سنة) وتأتي بعدها مرحلة المثالية ثم المثل العليا اللتين تتداخلان مع مرحلة المراهقة، فأن تكتب للطفل يجب أن تحدّد أي مرحلة طفلية تقصد وما أهم خصائصها النمائية وتطلعاتها لتكتب أدبا نابعا من جوهرها، ليصل إلى قلوب أطفال تلك المرحلة ويرضي تطلعاتهم ويضيف لهم ما يسعدهم ويهذّبهم.

سيكتب أديب الأطفال نصه في أي جنس أدبي يختاره وهو يشتغل على فكرة معينة بأسلوب خاص معين، إن للكتابة للطفل مبادئ معيّنة "وإن أهم مبادئ أسلوب أدب الأطفال هو الاقتصاد الذي يتمثل في تقديم الأفكار بصيغ أدبية لا ترهق الطفل."[5] فلا يمكن أن نعامل الطفل بذات الطريقة التي نعامل فيها الكبير، وهو ما يُعرف بتكييف الفكرة والأسلوب أيضاً، إن "أول ما يجب أن يعرفه الكاتب، هو جمهوره الذي يكتب له.. لان كتابته -في مادتها وطريقتها، وشكلها ومضمونها- تتوقف على نوع هذا الجمهور وخصائصه المعينة"[6]، فالكتابة للأطفال لا تختلف في جوهرها عن الكتابة للكبار إلا من خلال ما يكتبه أديب الأطفال بوعي وإدراك، فبعض الأفكار قد تبدو غير صالحة لأن تُطرح للطفل في أدبه، إلا أن الأديب الحقيقي يمكنه طرحها بجرعة مناسبة للمرحلة العمرية الخاصة للطفل، وبأسلوب يجعله يفهم ما يُكتب له وإن كان ذلك يبدو صعبا، وأدب الطفل الحقيقي هو الأدب الذي يجلب الكبار والصغار معاً، فيجد فيه الطفل ضالته ويستمتع الكبير وهو يقدمه للطفل.

نشأته:

بالحديث عن نشأة أدب الأطفال غربيا فإن الإبداع الفعلي فيه "بدأ في العصر الحديث في فرنسا وذلك في القرن السابع عشر وكان الكاتب لا يكتب اسمه خشية الحط من قدرته أمام الناس"[7] إلى أن جاء الشاعر (الفرنسي تشارلز بيرو) فكتب قصصاً للأطفال وُسمت بـ (حكايات أمي الإوزة) سنة 1698 وأمضى باسم مستعار، وعندما لاحظ الإقبال الشديد على قصصه قام بتأليف مجموعة أخرى بعنوان (أقاصيص وحكايات الماضي) ودوّن اسمه واضحاً. أما في إنجلترا "اقترن ذلك باسم <<جون نيوبري John Newbery>> صاحب المكتبة الشهيرة باسمه، التي خصصها للأطفال. وأخرج (نيوبري) حوالي مائتي كتاب صغير للأطفال تضم القصص والأساطير والحكايات والخرافات في إنجلترا وأمريكا"[8] حتى لُقّب بالأب الحقيقي لأدب الطفل في إنجلترا، وكان أول كتاب طُبع خصيصا للأطفال ونُشر سنة 1744 في بريطانيا وكان اسم هذا الكتاب (كتاب الجيب الرائع الصغير).

في الضفة العربية كان الطفل حاضرا بقوة في تراثنا العربي الإسلامي القديم ومن تمظهرات حضوره ما عُرف بأغاني ترقيص الطفل، "إن أغاني الترقيص العربية التي هي جزء من الغناء العربي الفولكلوري العام تحتوي على مجموعة مضامين ذات علاقة بالموقف الاجتماعي من الأولاد والنساء"[9] وقد نُظم أغلبها على بحر الرجز، وحملت الكثير من رؤى المجتمع للطفل والمرأة أيضا، وعكس أفكار تلك المرحلة ومعتقداتها، حيث كان

الطفل يُوجه ليكون خيرًا نافعا في مجتمعه، وتكون له تنشئة طيبة، ولهذا فقد كانت تلك الأغاني تحرص على التغني بمكارم الأخلاق وليس للتسلية فقط، مع استحضار بطولات ومآثر السالفين الطيبة، ولكن يبقى أدب الطفل بصورته الحديثة التي له قواعده الفنية وضوابطه الإبداعية حديثا جدا، فـ "في الأدب العربي فقد تأخر ظهوره إلى أواخر القرن التاسع عشر، عندما بدأ في إرهاصات مصحوبة برياح التأثير الثقافي الوافد من الغرب، متأثرا- خصوصا- بالأدبين الفرنسي والإنجليزي."[10] فكان الرافد الأول فيه هو ترجمة ما أُبدع لأطفال الغرب والنسج لاحقا على منواله.

والحقيقة التي يجب الإقرار بها لأهميتها القصوى هي "إن أدب الأطفال جديد على الآداب العالمية كلها، حيث لم يعن به أحد وفق الصيغ الحاضرة، إلا في العصر الحديث."[11] وما حضور الطفل في الأدب العالمي الموجه للكبار واطلاعه عليه أيضا إلا من باب الإرهاصات التي دفعته إلى أن يرسم حدوده لاحقا، فأدب الطفل بصورته الحديثة استطاع تجاوز إشكالات تسميته وتحديد المبدع فيه والكثير من العراقيل التي كانت تحول دون الاعتراف به، إلى أن وصل إلى الصورة التي هو عليها في عصرنا هذا.

أهميته:

في آخر القسم التنظيري لا بد أن نقف على أهمية هذا الأدب التي تجعل من الاهتمام به ضرورة ملحّة لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار، "ويعتبر أدب الطفل من أهمّ الروافد الثقافية، فهي تعرّف الأطفال بتراثهم الأدبي، وتساعدهم على فهم النفس البشرية ودوافعها، وتنمي خيالهم وقدرتهم على الإبداع والابتكار، وتمكنهم من تذوق الجمال، وتغني ثروتهم اللغوية."[12] فالطفل يجد في الأدب الموجه إليه فرصة سانحة ليثقف نفسه في مختلف المواضيع الاجتماعية والدينية والعلمية وغيرها، فيثوّر خياله ويفتح نوافذ التخييل ليبني توقعاته ويحاول فك شفرات العالم من حوله، ويطلع على منظومة الأخلاق ويفهم طبيعة العلاقات البشرية بدءً بالأسرة إلى المجتمع، وهو بهذا يجد متعة كبيرة في الاطلاع على هذه النصوص الشعرية أو القصصية التي تسهم بشكل فعّال في تحقيق هذه الأهداف، فأدب الأطفال يكسبهم فصاحة اللسان ويثري رصيدهم اللغوي، "كما أنه ينمي قدراتهم التعبيرية، ويعودهم الطلاقة في الحديث، لما يزودهم به من الخبرات المتنوعة."[13] وهي كلها مطالب لا بد أن تنمّى في مرحلة الطفولة ليكون الطفل مهيّأ للانخراط في مجتمعه.

1-2- النقد الموجه لأدب الطفل العربي:

لأن الخوض في غمار قضية نقد أدب الطفل يفتح أمامنا الحديث مجددا عن الفرق بينه وبين أدب الكبار، فلا بد من ضبط القاعدة التي ننطلق منها، إن خصوصية أدب الطفل تجعل من نقده أيضا خاصا، فنحن في التعامل مع النص الأدبي الموجه للطفل سنتحدث عن نقد مختلف عما نعرفه في أدب الكبار أيضا، "ويترتب على هذا.. أن المعايير التي على أساسها ننقد ونحكم على أدب الأطفال، تختلف عن مثيلتها بالنسبة لأدب الكبار."[14] فالطفل هنا لن يميز بين جيّد ما يُكتب له وبين رديئه خاصة في سنوات عمره الأولى، وهذا يجعل من مسؤولية المشتغلين في هذا المجال أكبر، "هي أن مقاييس العصر في أدب الأطفال تتغير.. ومعايير التقييم تنمو وتتطور وفق عدد من الاعتبارات."[15] وهو ما يؤكد أن مسألة الإبداع للطفل لن تكون سهلة، ومسألة ضبط نقد الإنتاجات الأدبية الموجهة إليه أيضا لن تكون هيّنة، فالمعايير غير ثابتة ولكن يمكن تعديلها وفق متطلبات كل تجديد إبداعي.

إن ضبط المعايير النقدية التي يمكن الاعتماد عليها في تقييم النصوص الموجهة للأطفال قضية بالغة الأهمية، وإهمالها عربيا انعكس بالضرر على أدب الطفل العربي، "والتحليل عموما قد يأخذ منهجاً معيناً إذا كانت أصوله وأدواته تقف عند اتجاه معين، ولكنه (عند الحديث عن تحليل أدب الطفل) يأخذ تكاملاً منهجياً يجمع بين عدة مناهج."[16] كالمنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج الإحصائي والمنهج الوصفي، لكن السؤال يتمحور تحديدا حول الاستعمال الذكي لهذه المناهج منفردة أو متكاملة، فهذا الأمر يتطلب وعيا نقديا كي لا نحمّل أدب الطفل أكثر مما يتحمله من مساءلة نقدية قد تُفقد النص روحه وتذهب به إلى مسارات غير مقصودة فيه أصلاً.

من المقترحات النقدية أيضا ما تعلق بجوانب مختلفة في أدب الطفل، "وهناك عديد من الاتجاهات العصرية في تحليل أدب الطفل، التي نتعرض لها مثل تحليل المحتوى (المضمون)، وتحليل المعايير والتحليل الإسلامي، والتحليل السلوكي، والتحليل النقدي التأملي، والتحليل التتبعي القيمي."[17] وهي أنواع من المقاربات النقدية التي تمكّن الناقد في أدب الطفل من الغوص في أغوار النص الأدبي الموجه للطفل، وتبقى مسؤولية انتقاء المقاربة الأمثل على عاتق الناقد، فانطلاقا من التحليل الموضوعاتي يمكن أن نعرّف بأدب الطفل وما يدور في فلكه من محاولات إبداعية، "وأخيراً محاولة تحليل البناء الفني للقصة من حيث وضوح السياق الزماني والمكاني ومدى توفر الحبكة الفنية والعقدة ونهاية القصة"[18] وللجانب الشكلي أيضا دوره في تحريك عدلة النقد نظرا لأهميته في إخراج كتاب الطفل وتأثير ذلك على مقروئية هذا الأدب، فغلاف القصة ونوع الخط والرسوم أيضا له دوره في الصورة النهائية لنص الطفل.

إن دور الناقد في أدب الطفل خطير جدا فهو الذي يجب أن يصنّف بين أدب الطفل الحقيقي وما يجعل من هذا الأخير مطيّة لأشباه المبدعين، الذين فشلوا في الكتابة للكبار فاستسهلوا الكتابة للصغار فوضعوا في متناول الأطفال أعمالا لا تخدمهم ولا ترقى لمستواهم، "ويميل بعض النقاد إلى تبني "النهايات السعيدة" بالنسبة للأطفال، كما يؤكدون على أهمية إبراز الهدف بطريقة واضحة وحاسمة، دون إغراق في الوعظ أو الشرح."[19] وهي قواعد تنطلق من جوهر الكتابة للطفل، والنص الذي لا يحقق هذه المبادئ ولا يحترمها لا يمكن التساهل معه، لأنه يشكل ضررا للطفل الذي يطلع عليه، "وبناءً على النقائص الكثيرة التي لاحظها النقاد والدّارسون لأدب الأطفال، فإنّه من الصّعب أن يضع المرء قواعد مضبوطة مُقنّنة بدقّة كالقواعد العلمية لكتّاب الأطفال."[20] وهو ما يجعل نقد أدب الطفل مجالا فسيحا للعديد من النماذج التي لا تجد من يقيمها بدورها ليتضح النقد الأمثل ويتم اعتماده، ولعل الاجتهادات الفردية تسهم بشكل سلبي من حيث تريد أن تسهم في دفع عجلة أدب الطفل - العربي تحديدا- وهي إشكالية لا بد من استدراكها عاجلا من طرف مؤسسات عربية رسمية تُعنى بأدب الطفل وشؤونه.

إن قضية النقد الذي يشتغل على أدب الطفل غير واضح المعالم، وتبقى الجهود المقدمة فيه إما نظرية لا تستند على أمثلة، وإما ان تكون تطبيقية دون تأطير نظري لها، وفي كلتا الحالتين لن يستفيد أدب الطفل الاستفادة المرجوة منها. "فالنقاد عليهم أن يمتلكوا حسا نقديا وثقافة واسعة قصد تحقيق عملية الإبداع الموجهة أصلا للأطفال في مجالات الكتابة ولو استطعنا تحقيق ذلك لأدركنا أن كتاب أدب الطفل في الوطن العربي هم قلة تعد على الأصابع في كل قطر من أقطار العالم العربي."[21] وهو ما لاحظناه في بعض المقترحات المقدمة من طرف المشتغلين الحقيقيين على ادب الطفل، لكنها لم تحظ بالانتشار الذي يليق بها وظلت حبيسة تلك

الدراسات والمؤلفات، "هذا وربما أكدنا على العامل التجاري الذي يعرض الإبداع في هذا الحقل إلى كثير من التسرع وعدم النضج، خاصة وأن عالم التلقي من فئة الأطفال لا يملكون وسيلة نقدية يعمدون خلالها إلى اشتراط ذوق معين أو قيمة جمالية تصدقهم الإحساس."[22] وهي مسألة تزيد الأمر تعقيدا، إذ تقدّم بعض دور النشر أعمالا للأطفال دون المرور على عتبة النقد الحقيقي، وبالتالي تجد تلك النصوص -على رداءتها- فرصة للوصول إلى الأطفال وطرق عوالمهم دون رقيب، وفي الحقيقة فإن غياب نقد أدب الطفل أضرّ بهذا الأدب كثيرا، لأنه ترك الباب مشرعا لكل أنواع الإبداع فيه.

2- قراءة في تجربة عبد الله لالي:

2-1- عرض لكتاب "في أدب الطفل الجزائري-قراءات نقدية جمالية":

من النماذج الجزائرية التي أسهمت في خوض تجربة النقد الأدبي الموجه للطفل ما أنتجه "عبد الله لالي" في كتابه "في أدب الطفل الجزائري -قراءات نقدية جمالية"[23] حيث أقدم على نقد مجموعة من الأعمال الإبداعية الجزائرية الموجهة للطفل، ورغم أنه لم يبرز توجهه النقدي الذي سيعتمده في مستهل مؤلّفه، إلا أنني سأحاول التعرف على نوع المقاربة المعتمدة من خلال عرض محتوى هذا الجهد، إذ يقسم مؤلّفه إلى ثمانية أقسام سأعرضها على ترتيبها الذي وردت به، مع ذكر لمحة عن المقاربة النقدية التي اتبعها في هذا المؤلف مع كل عمل أدبي موجه للأطفال:

- **القسم الأول:** عنونه بـ "كاتبة الأطفال الجزائرية جميلة يحياوي" (رواية أشجار الأحلام، قراءة في رواية "فارس والقوّة الخفيّة"، قصص منوّعة) سأتناوله بالتفصيل لاحقا.
- **القسم الثاني:** عمر علواش شاعرا للأطفال (هندسة البناء الفني في ديوان عمر علواش)، وقوفا عند الشعر القصصي، ووقفة عند المضمون، يقدّم بعض نماذجه الشعرية ليعرض هندسة البناء الفني في ديوانه بعرض أهم الخصائص الفنية فيه (المتح من التراث، توظيف الشخصيات الحيوانية، اللغة والأسلوب، معجم الألفاظ) ليغوص أكثر في (استهلال الحكواتي، صياغة العناوين، التناص، المحسنات البديعية)
- **القسم الثالث**: قراءة في ديوان (أناشيد وأغاني الأطفال) للشاعر محمد الأخضر السائحي، يعرض بعض القصائد ويشرح معانيها، ويتعامل مع هذه النصوص بنوع من التحفظ لثقل شاعرها ولانتقاله إلى جوار ربه وهو ما لم يعتمده الناقد قبلا، فقد حاول التعرف على عوالم المبدعين الأحياء كخطة أولية.
- **القسم الرابع**: قراءة في ديوان (مملكة الأمراء الصّغار) للشاعر نبيل شريط، يقف أيضا عند نماذج شعرية من قصائده معرفا بمعانيها وبعض ما يميزها، ليستخرج بعض القيم الفنية التربوية، ثم يقدم البناء الفني في الديوان (ثقافة الشاعر والتوظيف البديع، وقفة مع العناوين، اللغة والأسلوب، الومضات القصصية، جمال المطالع)
- **القسم الخامس:** قراءة في قصة (بقرة اليتامى) لرابح خدوسي وبنت المعمورة، بعد التعريف بالزوجين المؤلفين، يقدم محتوى القصة وهي من أشهر قصص التراث في الجزائر، ليبين حقيقة القصة التي تعد أسطورة غرائبية، ثم يقدم أهداف القصة، ثم البناء الفني في القصة ويوضح الأسلوب الحكائي الذي انمازت به القصة (شخوص الحكاية، البعدان المكاني والزماني).

- **القسم السادس:** مسعود عثماني كاتبا للأطفال، يقف عند بعض قصصه مثل (العجوز والمذياع، تاباكو)، يقدم كل قصة ويقف عند بنائها الفني تحت عناوين (التوظيف التاريخي، الأسلوب، الشخصيات، الفضاء المكاني والزماني، التصوير المشهدي، قيم تربوية ومعرفية، العنوان، التصوير الفني الجميل، التصميم والإخراج الفني)
- **القسم السابع:** قراءة في المجموعة القصصية (الحيوانات المغامرة) لأم سارة (خديجة زواقري)، وبها خمس قصص (الكناري والزهار، حلم زهّار، الطاووس المغرور، الصّرصور النبيل، اللبؤة الغبية)، يقدم محتوى كل قصة ويقف عند مغزى بعضها، مقدما بعض المقاطع من بعض قصص هذه المجموعة القصصية.
- **القسم الثامن:** قراءة نقدية في ديوان (حديقة الملائكة) للشاعر صلاح الدين باوية، سيكون له نصيب وافر من الشرح والتقديم لاحقا.

سأختار من بين هذه الأقسام قسمين لبسط الخطوات المعتمدة في هذه المقاربة النقدية، سيكون النموذج الأول متعلقا بالكتابة السردية مُمثَّلا في تجربة القاصة جميلة يحياوي، بينما يأتي النموذج الثاني شعريا متعلقا بالقسم الثامن والأخير ممثلا في قراءته لديوان صلاح الدين باوية.

2-2- مقاربة نقدية لنماذج من الكتاب:

النموذج الأول: الموسوم بـ"كاتبة الأطفال الجزائرية جميلة يحياوي":

اخترت هذا النموذج السردي في أدب الطفل الجزائري لكاتبة قدّمت الكثير لهذا الجنس الأدبي؛ فالكاتبة جميلة يحياوي أبدعت ما يربو عن خمسين عنوانا قصصيا للأطفال يقدّمها لالي بكل فخر مشيدا بإنجازاتها وجوائزها التي أحرزتها في مسيرتها الهادئة الرصينة. اعتمد في تقديم رواية أشجار الأحلام الموجهة لليافعين على التعريف بهذا الفن الحديث الظهور، ففي 101 صفحة تأتي هذه الرواية العلمية مقسّمة إلى 12 مقطعا روائيا والصادرة عن دار سما للنشر والتوزيع بالإمارات العربية المتحدة عام 2017، تدور أحداثها في علم الهندسة الوراثية حول موضوع التوهج البيولوجي، وبعد عرض محتوى الرواية يعلّق لالي: "قصة محكمة النسج متشابكة الأحداث بشكل هندسي متقن، كأنّك تشهدها وتراها تحدث أمام عينيك، تقدّم للشباب اليافعين مغامرة علمية ممتعة، فيها المعلومات والمعارف المفيدة وفيها القيم الخلقية النبيلة."[24] فهناك توليفة جميلة بين الإبداع والفن والعلم والأخلاق والمتعة والفائدة، وهو ما جعل من هذه الرواية فرصة جميلة للمطالعة لهذه الفئة العمرية المميزة.

تحت عنوان (معارف زاخرة) يقف لالي عند المعلومات والمعارف العلمية التي تقدمها هذه الرواية، وتحت عنوان (أفكار قيمة) يعرّف بالقيم المتنوعة التي تسهم في صناعة شخصية الطفل بإيجابية، ليقدم عنوانا جديدا (قيم خلقية ودينية) يستعرض فيه روح الدين الإسلامي وتمظهره في ثنايا هذه الرواية. ينطلق لالي في مقاربته النقدية بشكل رسمي معنونا (البناء الفني في رواية "أشجار الأحلام") ويبدأ بعرض هذه العناصر الفنية المعتمدة من طرف الروائية بدءً بـ:

- العنوان الذي وصفه بالجذّاب.

- البطل الفذّ (المختلف).
- الرمزية في التسميات.
- التصوير الفني البارع.
- الحوار.
- الحبكة.

وبعد هذا الاستعراض لمختلف العناصر الفنية التي أسهمت في بناء هذه الرواية جماليا وتحقيق سرديتها، يختم لالي هذه الوقفة النقدية بقوله: "أسلوب مشوّق وجذّاب ولغة سلسة وجميلة، تغري وتغني القارئ (المتلقي) بثروة من المعارف والمعلومات المفيدة والقيمة، مع توفر عناصر المغامرة والتحدي الذي هو من خصائص اليافعين الكبرى."[25] وهو حكم قيمي انتهى إليه الناقد لالي في تجربته النقدية هذه التي حاول أن يقرأ الرواية فنيا، فوقف على العناصر الفنية المتوفرة في كل تجربة سردية، واستعان بتعزيز أحكامه على مقاطع من الرواية كان يقدمها مع كل عنصر من عناصر هذه المقاربة النقدية.

ولم يكتف الكاتب بتحليل نموذج واحد من عالم "جميلة يحياوي" بل اختار نموذجا ثانيا هو رواية (فارس والقوّة الخفيّة)، والتي تعرضت لشريحة مهمة جدا في مجتمعاتنا وهي فئة ذوي الاحتياجات الخاصة، وبعد عرض محتوى القصة يقف عند المغزى والقيم، ليقدم عرضا عن البناء الفني للرواية، ليقدم عنوانا (روعة الوصف وجمالية التصوير) كونهما وجهان لعملة واحدة -على حسب تعبيره- بالاستعانة بمقاطع من الرواية، ليقف عند المشاهد الوصفية/التوصيرية فيها، ويشير في آخر عرضه هذا إلى الحوار بقوله: "فضلا عن ذلك استخدمت الكاتبة الحوار بشكل كبير، لأنه مهم للغاية في تطعيم الأحداث بنوع من الحيوية والحركية التي يبثها الحوار في مناحي النص."[26] ليقف بعدها على قصص منوعة لذات المبدعة استكمالا لمشروعها، يعرّف ببعضها والمعنونة بـ (الصبار الطيب، أريد قوس قزح، المهرج فوفو، وسيم يبحث عن جدة، زيتونات جدتي زهرة)، وبين عرض موضوع كل قصة يقف عند بعض خصوصياتها وفنياتها. ليختم دراسته الفنية لمشروع يحياوي بقوله: "إن الأديبة جميلة يحياوي كاتبة للأطفال بارعة، تملك قلما ذهبيا وموهبة قوية في تضمين كتاباتها رسائل قيمة للنشء في أسلوب فني رائع، فيه كل ما يجذب الطفل ويجعله ينهل من تلك الإبداعات ويستفيد منها أيما استفادة"[27] ليكون اتى على أهم أعمالها نقديا.

النموذج الثاني: قراءة نقدية في ديوان (حديقة الملائكة) للشاعر صلاح الدين باوية:

أقف مع نموذج شعري موجه إلى الطفل الجزائري، ومن خلاله إلى أطفال العرب، إذ يحتفي بالشاعر صلاح الدين باوية الذي سيقدم ديوانه الشعري الخاص بالأطفال واليافعين جمع بين الشعر الغنائي والشعر القصصي والأبريت، طُبع في دار الماهر للطباعة والنشر في نحو 117 صفحة عام 2020، وقُسم إلى ثلاثة أقسام:

1- القسم الأول: خاص بالشعر عامة ضم 50 قصيدة.

2- القسم الثاني: للقصص الشعري بعنوان (الحمار والبركة وقصص شعرية أخرى).

3- القسم الثالث: بعنوان (تاريخي أكبر معجزة أوبيريت شعرية تربوية)

ومثلما تنوعت مجالاته الإبداعية فقد تنوعت موضوعاته أيضا، يقدم الناقد جولة سياحية في حديقة الملائكة فيعرّف بقصائد الديوان، ذاكرا عدد أبيات كل قصيدة، وموضوعها وبعض الالماحات الفنية ينتقيها من مواضيع مختلفة (الطفولة، الوسائل التكنولوجية كقصيدة الهاتف النقال، حب الأم والأب، الوطن، الطبيب، الأقصى..) فيقدم مقطعا شعريا من كل قصيدة ويحتفي بمعانيها وقيمها. لينتقل بعدها إلى الجزء الثاني الذي تضمن خمس قصص شعرية (الحمار والبركة، الثعلب وغابة الأمان، القط والفأر، الأفعى والبقرة، الأرنب الصغير)، ليصل إلى أوبريت (تاريخي أكبر معجزة) للتعريف بالقسم الثالث من هذا الديوان.

يقدم الناقد عنوانا مهما هو (البناء الفني في ديوان حديقة الملائكة)، يقول في مستهله: "أجمل ما في هذا الديوان هو هذا التنوع في أشكال النصوص الموجه للطفل، والطفل عادة سؤوم ملول، لو كتبنا له على نمط واحد وطريقة واحدة لا نعدل عنها، لملّ وانصرف حتى ولو قدمنا له الشهد الخالص والرضاب المنقى."[28] فيقدم لالي تبريرا لهذا التنويع في الأشكال الإبداعية، لأنه يمنع ملل الأطفال ويضمن إقبالهم على هذا المنتوج الإبداعي المقدم لهم. ينطلق من اللغة والأسلوب ويقيمها ويمثّل لذلك ببعض نماذج الديوان، لينوّه بأسلوب المجاز والصور الفنية والتشبيه والمحسنات البديعية، والتناص. يقول لالي: "فكل هذه العناصر الجمالية وغيرها مما يصعب تتبعه بالتفصيل إلا بقراءة معمقة ومستفيضة، جعل من الديوان تحفة فنية وحديقة زاخرة بالجمال تسعد الصغار والكبار في آن معا."[29] وهي شهادة للناقد بعدم اكتمال مقاربته النقدية التي لا يمكن أن تأتي على ديوان ثري كهذا في بضع صفحات ضمن كتاب، والملاحظ أن الجوانب الفنية شغلت الناقد لالي كثيرا في عمله هذا وأعطاها مساحة كبيرة سواء في عرض التجربة السردية أو الشعرية.

إن الآلية النقدية التي اتبعها لالي في مقاربته لهذه النصوص الإبداعية الجزائرية، حاولت أن تقف على مختلف الجوانب الفنية والموضوعاتية التي يزخر بها النص الطفلي في الجزائر، ويتعلق الأمر ببقية النماذج المدروسة أيضا وليس بالنموذجين المختارين فقط، ومن أبرز النقاط التي ركز عليها الناقد ما يلي:

- التعريف بموضوع النص الأدبي المدروس، من خلال سرد أحداثه وعرض موضوعاه المتناول، سواء مع النص السردي أو الشعري. ولا يكتف بعرضه بل يبرز الأهداف المنشودة من خلاله.

- إبراز القيم المختلفة المقدمة من خلال النص الأدبي المدروس، مهما كان نوعها وقيمتها، خاصة الخلقية والدينية وهذه ميزة يحرص كتاب الطفل العرب على تضمينها نصوصهم بشكل عفوي وقصدي أيضاً.

- تثمين المعارف والمعلومات الواردة بالنصوص المدروسة، خاصة ما تعلق منها بالشق العلمي والمعرفي، إيمانا بأن الطفل بحاجة إلى أدب يثري رصيده اللغوي وكذلك المعرفي.

- استعراض العناصر الفنية المتوافرة بالنص الأدبي المدروس، بدء بالعنوان والشخصيات والآليات السرد، والأسلوب والتصوير والتخييل على وجه الخصوص.

- عدم حرص الناقد على إبراز الفرق الجمالي بين النص السردي والنص الشعري، فلا نلاحظ خصوصية نقدية في تناوله للنماذج المنتقاة، ويبقى تركيزها منصبا على الشق الموضوعاتي والفني بشكل عام.

تبرز صورة النقد عند عبد الله لالي بشكل واضح جدا من خلال تصفح كل المحاولات النقدية التي أرودها في كتابه، وما استوقفني حقيقة هو محاولته للإحاطة بالتجربة الإبداعية لكل كاتب اختاره، فيحاول التعريف به وبموضوع تجربته الإبداعية ويقدم مقاربة فنية لهذه التجربة، ورغم أن النقد الذي كان يمارسه لم يتخذ رؤية واضحة ولم يتشكل في شكل منهج نقدي معين مما نتفق عليه، إلا أن العناصر الفنية التي كان يحرص على إبرازها في كل دراسة تبرر له الكثير، إذ نتقبل ما اشتغل عليه نقديا كونه يتعامل مع نص أدبي موجه للطفل بشكل خاص محترما تلك الخصوصية التي ينماز بها هذا النص والمرحلة الموجه إليها، ويمكن احتساب هذه التجربة كلبنة أساسية من لبنات النقد الموجه لأدب الطفل في الجزائر، وهي تجربة قابلة للاستفاضة في جوانب لم تأخذ حقها فيها كخصوصية النص الشعري مقارنة بالنص السردي.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي انتقلت بين تعريف أدب الطفل وإبراز خصوصيته وأهميته ثم انتقلت إلى التعريف بالنقد الموجه للطفل من خلال إثارة قضيته في هذا المجال، وصولا إلى عرض نموذج من النماذج الجزائرية التي أسهمت في إثراء النقد الخاص بأدب الطفل، فإنه من الواجب استخلاص بعض النتائج التي تثمّن هذا العمل وتمنحه قيمة، ومنها:

1- استطاع أدب الطفل العربي أن يبلور صورته ويرسم حدوده التي تحفظ له جوهره وتجعل من الإبداع فيه ذا خصوصية، وظهرت أسماء عربية ذات شأوٍ تفرغت للكتابة فيه إبداعا وتنظيرا. وأهم ما يجب الاعتراف به هو الفروق الموجودة بين أدب الصغار وأدب الكبار، ولأهمية هذا الأدب لا بد أن ينال عناية وحظوة من الجهات الرسمية لدعم المبدعين فيه.

2- نقد أدب الطفل مجال حيوي وبالغ الأهمية والخطورة، لأنه يقيّم الأعمال الإبداعية المنتجة في هذا المجال ويمنح لكلٍّ منها قيمته، لكن غياب المعايير المضبوطة المتفق عليها جعل من الخوض فيه تجربة فردية قد تختفي بالعمل دون أن تبرز مكامن الجودة والرداءة فيه.

3- ضرورة الاتفاق على معايير ومقاربة نقدية واضحة المعالم لأدب الطفل، فالنماذج النقدية المختلفة لم تقدم لنا صورة نهائية له، ولا يمكن المفاضلة بين مقاربة وأخرى، وهنا يجب تفعيل نقد النقد لتقييم الأعمال النقدية المقدمة في النصوص الإبداعية الموجهة للطفل، وهذا لغربلة كل ما قُدّم في هذا المجال عربيا.

4- إن التجربة التي قدمها عبد الله لالي -وهو غير متخصص في النقد- تقدم خطوة في مجال الكتابة الأدبية الإبداعية للطفل الجزائري، لكنها بدورها بحاجة إلى تقييم من طرف نقاد متخصصين كي يتم التعرف على الخطوات النقدية والمنهج النقدي الذي يمكن اعتماده مستقبلا.

5- يبدو النقد الذي اعتمده عبد الله لالي في الأقسام الثمانية في كتابه نقدا انطباعيا، انبنى على الذوق والتجربة الطويلة في التعامل مع النصوص الأدبية الموجهة للأطفال، وأظن أن تلك الأحكام التي كان يطلقها من خلال الصفات الكثيرة التي استعان بها لتوصيف الأعمال المدروسة أثقلت الدراسة، من قبيل: (جذّاب، فني، فذ، مختلف، قيّم...)

ولا بد أن أقترح بعض الأفكار والمقترحات التي من شأنها أن تمنح هذه الدراسة قيمة أبلغ، وأحصرها في ثلاث نقاط رئيسية وهي:

1- ضرورة رعاية الأعمال الإبداعية والنقدية التي قدمت في مجال أدب الطفل العربي الذي لا يزال في بداياته مقارنة بأدب الكبار، ومقترحي في هذا هو الانضواء تحت هيئات عربية رسمية أو تطوعية تجمع مختلف المشتغلين في هذا المجال من مبدعين وأكاديميين، ليتم تمحيص وتقييم كل ما أُنتج عربيا، مع استغلال الوسيط الرقمي الذي لم يعد يعترف بالحواجز الجغرافية والفوارق الزمنية.

2- إن ربط نقد النقد بنقد أدب الطفل العربي سيأتي أُكله لا محالة، فحتى النماذج النقدية التي تتصف في مجملها بالبعد الانطباعي لا بد أن تغربل، فمقترحي هنا هو تفعيل نقد النقد وهو ما يمكّن نقد أدب الطفل العربي من المضي قدما ويلملم أطراف الجهود الفردية المبذولة فيه والتي لا يمكن إنكارها أو تجاهلها.

3- إن الدور الأكاديمي مهم جدا في مرافقة الجهود غير الأكاديمية والتي تحتاج في بعض أحوالها إلى ضبط منهجي، ومقترحي هنا هو مواكبة ما يُنشر خارج جدران الجامعة من طرف الأساتذة والطلبة المشتغلين في مجال أدب الطفل، والذي يقدم جهدا غزيرا وثمينا جدا يمكن الاستفادة منه مع تأطيره أكاديميا ليأخذ بعدا أرحب.

يبقى أدب الطفل العربي مجالا خصبا يتطلب جهودا إضافية تتضافر فيما بينها لتؤمّن لأطفالنا ملاذا إبداعيا تتحقق من خلاله أهداف ووظائف أدب الطفل، لضمان مستقبل أمثل لمجتمعاتنا العربية والتي تخوض حروبا غير مرئية وتحديات حقيقية في سبيل ضمان تموقعها عالميا.

الإحالات والهوامش:

[1]- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ص 71.

[2]- عبد الفتاح أبو معال، 1988، أدب الأطفال دراسة وتطبيق، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 2، عمان-الأردن، ص 12.

[3]- سمير عبد الوهاب أحمد، 2006، أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة، ط 01، ص 49.

[4]- قدرية محمد البشري وآخرون، 2011، أدب الأطفال وثقافتهم، دار الخليج، ط 01، عمان الأردن، ص 202.

[5]- محمد علي الهرفي، أدب الأطفال، 2001، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 1، ص 56.

[6]- أحمد نجيب، 1991، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، ص 25

[7]- عبد الفتاح أبو معال، 2005، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 01، عمان-الأردن، ص 94.

[8]- محمد حسن بريغش، 1996، أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، ط 02، ص 63-64.

[9]- أحمد أبو سعد، 1986، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، دار العلم للملايين، ط 2، ص 107.

[10]- موفق رياض مقدادي، سبتمبر 2021، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة، ص 21.

[11]- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه، ص 104.

[12]- إبراهيم أحمد نوفل، 2014، أضواء على أدب الأطفال، دار ومكتبة الكندي للنشر والتوزيع، ط 1، ص 18.

[13]- أحمد عبده عوض، 2000، أدب الطفل العربي رؤى جديدة وصيغ بديلة، الشامي للنشر والتوزيع، ص 23-24.

[14]- إسماعيل عبد الفتاح، 2000، أدب الأطفال في العالم المعاصر، (رؤية نقدية تحليلية)، مكتبة الدار العربية للكتاب، ك 1، ص 27.

[15]- أحمد نجيب، المضمون في كتب الأطفال، دار الفكر العربي، ص 66.

[16]- إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 92.

[17]- المرجع نفسه، ص 93.

[18]- محمد السيد حلاوة، 2000، الأدب القصصي للطفل، مضمون اجتماعي نفسي، مؤسسة حورس الدولية، ص 133.

[19]- نجيب الكيلاني، 1998، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط 4، ص 63.

[20]- محمد مرتاض، 2013، من قضايا أدب الأطفال، دراسة تاريخية فنية، دار هومة، ط 02، الجزائر، ص 138.

[21]- العيد جلولي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دراسة تاريخية فنية في فنونه وموضوعاته، تحت إشراف مديرية الثقافة، ص 72.

[22]- عبد القادر عميش، 2012، قصة الطفل في الجزائر، دراسة في الخصائص والمضامين، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، ص 49.

[23]- عبد الله لالي، 2022، في أدب الطفل الجزائري، قراءات نقدية جمالية.

[24]- عبد الله لالي، في أدب الطفل الجزائري، قراءات نقدية جمالية، 2022، ص 7.

[25]- المرجع نفسه، ص 17.

[26]- المرجع نفسه، ص 24.

[27]- المرجع نفسه، ص 31.

[28]- المرجع نفسه، ص 115.

[29]- المرجع نفسه، ص 119.

المصادر والمراجع:

المصدر:

1. عبد الله لالي، 2022، في أدب الطفل الجزائري، قراءات نقدية جمالية.

المراجع:

2. إبراهيم أحمد نوفل، 2014، أضواء على أدب الأطفال، دار ومكتبة الكندي للنشر والتوزيع، ط 1.
3. أحمد أبو سعد، 1986، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، دار العلم للملايين، ط 2.
4. أحمد عبده عوض، 2000، أدب الطفل العربي رؤى جديدة وصيغ بديلة، الشامي للنشر والتوزيع.
5. أحمد نجيب، 1991، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي.
6. إسماعيل عبد الفتاح، 2000، أدب الأطفال في العالم المعاصر، (رؤية نقدية تحليلية)، مكتبة الدار العربية للكتاب، ك 1.
7. سمير عبد الوهاب أحمد، 2006، أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة، ط 01.
8. عبد الفتاح أبو معال، 1988، أدب الأطفال دراسة وتطبيق، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 2، عمان-الأردن.
9. عبد الفتاح أيو معال، 2005، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 01، عمان-الأردن.
10. عبد القادر عميش، 2012، قصة الطفل في الجزائر، دراسة في الخصائص والمضامين، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2.
11. العيد جلولي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دراسة تاريخية فنية في فنونه وموضوعاته، تحت إشراف مديرية الثقافة.
12. قدرية محمد البشري وآخرون، 2011، أدب الأطفال وثقافتهم، دار الخليج، ط 01، عمان الأردن.
13. محمد السيد حلاوة، 2000، الأدب القصصي للطفل، مضمون اجتماعي نفسي، مؤسسة حورس الدولية.
14. محمد حسن بريغش، 1996، أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، ط 02.
15. محمد علي الهرفي، أدب الأطفال، 2001، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 1.
16. محمد مرتاض، 2013، من قضايا أدب الأطفال، دراسة تاريخية فنية، دار هومة، ط 02، الجزائر.
17. موفق رياض مقدادي، سبتمبر 2021، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة.
18. نجيب الكيلاني، 1998، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط 4.

هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد.